الصباح الإسلامية
09
العدد 1678 - السنة السادسة
الاربعاء 26 ذي القعدة 1434 - الموافق 2 اكتوبر 2013
Wednesday 2 October 2013 - No.1678 - 6th Year

الصدمة بموت رسول الله ورقة الدين والفهم السقيم لنصوصه أبرز أسبابها

الـردة وحـروب المسلمـين لهـا

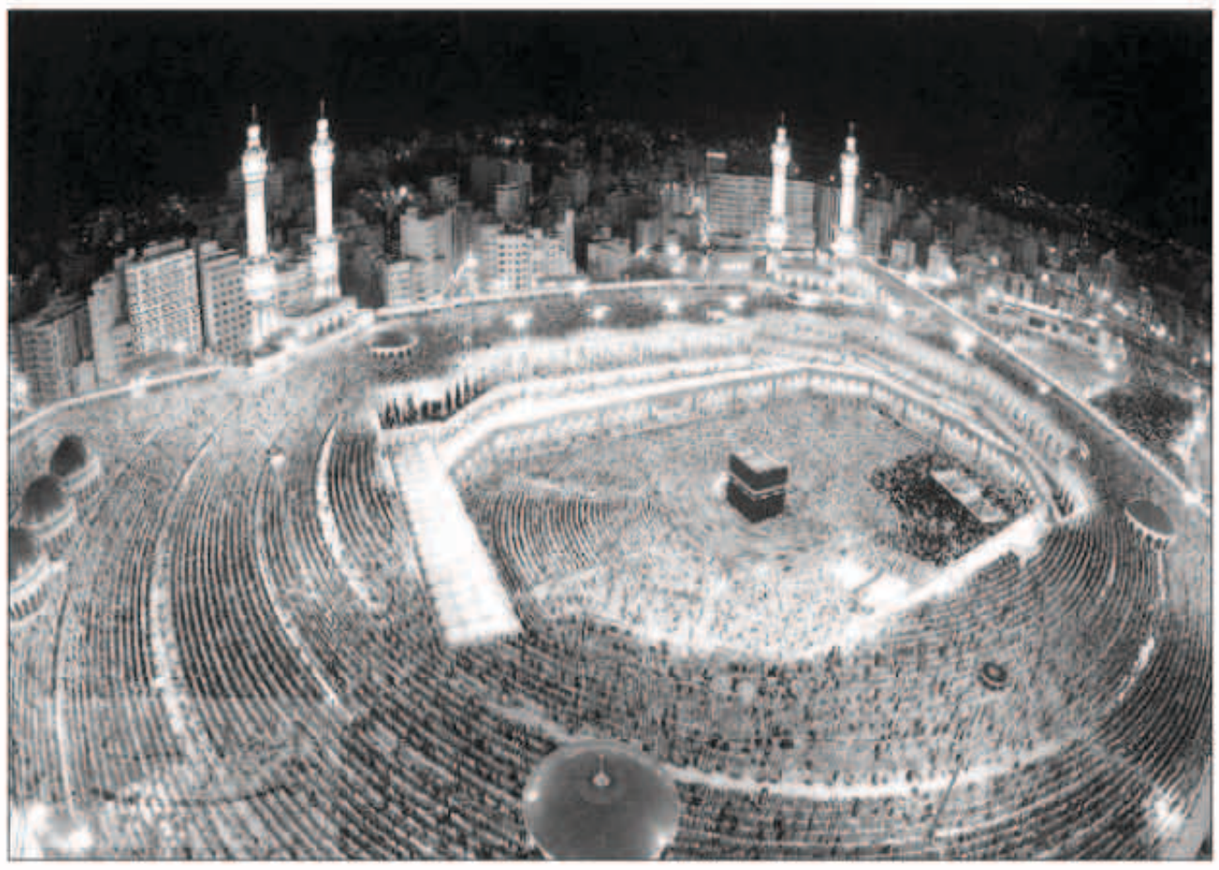

المرتـد هـو كل من أنكر معلومـا من الدين بالضـرورة كالصلاة والزكاة والنبوة وموالاة المؤمنين أو أتى بقول أو فعل لا يحتمل تأويلاً غير الكفر

عرف العلماء الردة اصطلاحا بانها: قطع الإسلام بنية أو قول كفر أو فعل، سواء قاله استهزاء أو عنادًا أو اعتقادًا، فمن نفى الصانع أو الرسل أو كذّب رسولاً أو حلل محرمًا بالإجماع كالزنا وعكسه، او نفى وجوبا مجمعاً عليه أو عكسه، أو عزم على الكفر أو تردد فيه كفر.

وعرفها عليش المالكي بانها: كفر المسلم بقول صريح أو لفظ يقتضيه أو بفعل يتضمنه.

وعرف ابنُ حزم الظاهري (المرتدَ) بانه: كل من صح عنه انه كان مسلمًا متبرئا من كل دين حاشا دين الإسلام، ثم ثبت عنه أنه ارتد عن الإسلام وخرج إلى دين كتابي أو غير كتابي أو إلى غير دين.

وعرفه عثمان الحنبلي بانه لغة: الراجع، قال تعالى: «وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ» [المائدة: 21]، وشرعا: من أتى بما يوجب الكفر بعد إسلامه.

ومعنى هذا أن المرتد هو كل من أنكر معلومًا من الدين بالضرورة كالصلاة والزكاة والنبوة وموالاة المؤمنين، أو أتى بقول أو فعل لا يحتمل تاويلا غير الكفر.

2 - بعض الآيات التي أشارت إلى المرتدين:

أطلق الله -سبحانه وتعالى- على المرتدين عن دينه عبارات تشير إلى هذا المرتكس الوبيل الذي تحولوا إليه، منها الردة على الأعقاب أو على الأدبار والانقلاب بالخسران وطمس الوجوه، ورد الأيدي في الأفواه والارتياب والتردد وأسوداد الوجوه، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ» [آل عمران: 149]، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» [النِّسَاء: 47]، وجاءَ في تفسير ابن كثير: وطمسها أن تعمى وقوله: فنردها على أدبارها أي: تجعل لأحدهم عينين من قفاه، وهذا أبلغ في العقوبة والنكال، وهذا مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبيل الضلالة يهرعون ويمشون القهقرى على أدبارهم.

وقال تعالى: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ» [آل عمران: 106].

نقل القرطبي فيها جملة آراء منها راي قتادة أنها في المرتدين، كما نقل حديثا لأبي هريرة وقال عنه: يستشهد به بان الآية في الردة وهو: «يرد على الحوض يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي! فيقول: إنك لا علم لك ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى». وفي رواية أخرى لهذا الحديث عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات اليمين فأقول: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم، فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

ثانيا: أسباب الردة وأصنافها:

إن الردة التي قامت بها القبائل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها اسباب، منها: الصدمة بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورقة الدين والسقم في فهم نصوصه، والحنين إلى الجاهلية ومقارفة موبقاتها، والتفلت من النظام والخروج على السلطة الشرعية، والعصبية القبلية والطمع في الملك، والتكسب بالدين والشح بالمال، والتحاسد، والمؤثرات الأجنبية كدور اليهود والنصارى والمجوس، وسنتحدث عن كل سبب بإذن الله تعالى.

وأما أصنافها: فمنهم من ترك الإسلام جملة وتفصيلا وعاد إلى الوثنية وعبادة الأصنام، ومنهم من ادعى النبوة، ومنهم من دعا إلى ترك الصلاة، ومنهم من بقي يعترف بالإسلام ويقيم الصلاة ولكنه امتنع عن أداء زكاته، ومنهم من شمت بموت الرسول وعاد أدراجه يمارس عاداته الجاهلية، ومنهم من تحير وتردد وانتظر على من تكون الدبرة، وكل ذلك وضحه علماء الفقه والسير.

قال الخطابي: إن أهل الردة كانوا صنفين: صنفا ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا إلى الكفر، وهذه الفرقة طائفتان: إحداهما أصحاب مسيلمة من بني حنيفة وغيرهم الذين صدقوه على دعواه في النبوة، وأصحاب الأسود العنسي ومن كان من مستجيبيه من أهل اليمن وغيرهم، وهذه الفرقة بأسرها منكرة لنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مدعية النبوة لغيره، والطائفة الأخرى ارتدوا عن الدين وأنكروا الشرائع وتركوا الصلاة والزكاة وغيرها من أمور الدين وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية، والصنف الآخر هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام... وقد كان ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح (بها) ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك، وقبضوا أيديهم على ذلك.

وقريب من هذا التقسيم لأصناف المرتدين تقسيم القاضي عياض غير أنهم عنده ثلاثة: صنف عادوا إلى عبادة الأوثان، وصنف تبعوا مسيلمة والأسود العنسي، وكل منهما ادعى النبوة، وصنف ثالث استمروا على الإسلام ولكنهم جحدوا الزكاة، وتاولوا بانها خاصة بزمن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقسم د.عبد الرحمن بن صالح المحمود المرتدين إلى أربعة أصناف: صنف عادوا إلى عبادة الأوثان والأصنام، وصنف اتبعوا المتنبئين الكذبة الأسود العنسي ومسيلمة وسجاح، وصنف أنكروا وجوب الزكاة وجحدوها، وصنف لم ينكروا وجوبها ولكنهم أبوا أن يدفعوها إلى أبي بكر.

«القرآن» يضمن لك: العيش السعيد أو الموت الحميد

إذا أردت أن تعيش سعيداً فعش مع القرآن، قال تعالى (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس: 58)، قال بعض السلف: «فضل الله الإسلام ورحمته القرآن»، وقال بعضهم: «فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله».

فمن أدركه فضل الله ورحمته كان من أهل القرآن، ومن كان من أهل القرآن رزقه الله فرحا يجده في قلبه، فرحا حقيقيا ناجما عن سكون القلب واطمئنانه (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرَّعد: 28)، وإذا أردت أن تموت حميدا فعش مع القرآن، وإليك أخي الكريم هذه الطائفة من القصص نحكي لك فيها اللحظات الأخيرة من حياة بعض حاملي القرآن عبر تاريخ المسلمين.

فهذا عبد الله بن عباس ترجمان القرآن الذي دعى له النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل) فوهب حياته لتعلم القرآن وتفسيره وما فيه من أحكام وأسرار، يعتمد على تفسيره كل من أتى بعده، ظل على هذا الحال حتى مات فلما ذهبوا به ليدفنوه دخل نعشه طائر لم ير مثل خلقته من قبل ولم ير خارجا منه (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) (الفجر: 27) وسمعوا بعد دفنه صوتا على شفير القبر لا يدري من القائل (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي). (صححه الهيثمي في مجمع الزوائد 285/9، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء 358/3 هذه قصة متواترة).

وآخر وهو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني صاحب القراءة المشهورة من القراءات العشر رجل عاش حياته للقرآن وعى القرآن في صدره فلما مات غسلوه فنظروا ما بين نحره وفؤاده - منطقة الصدر- كورقة المصحف فيقول نافع مولى ابن عمر وهو ممن غسله: فما شك من حضره انه نور القرآن. سير أعلام النبلاء للذهبي 287/5.

أما شيخ الإسلام وتحفة الأنام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الذي عاش حياته في سبيل الله، يجاهد بالكلمة والسنان، سجنه أعداؤه في آخر حياته فانكب على تفسير القرآن، نزعوا الأوراق من بين يديه فكان يكتب على الجدران، حتى منعوه من الأقلام فانكب على تلاوة القرآن يختمه الختمة تلو الختمة حتى كان آخر شيء قراه قبل أن يموت (إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر).

قد يقول قائل: هذه قصص السابقين وحكايات الغابرين، أما الآن فلا يوجد مثل ذلك. نقول له: لا بل لا يزال الله يظهر حسن خاتمة من تمسك بكتابه ليدلك على صدق هذا الكتاب الذي من تمسك به نجا.

فهذا شيخ القراء بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة الشيخ عامر السيد عثمان، ابتلاه الله قبل وفاته بسبع سنين بقطع أحباله الصوتية فأصبح قارئ القرآن بلا صوت، هل يسكت أو يتوانى ويعجز؟ لا بل ظل يدرس لتلامذته عن طريق حركة الشفاة والإيماءات والشهيق حتى جاءه مرض الموت فأصبح قصيد الأسرة البيضاء في المستشفى، وقبل وفاته بثلاثة أيام سمعه أهل المستشفى يقرأ القرآن بصوت جهوري عذب ندي لمدة ثلاثة أيام حتى ختم فيهن القرآن من الفاتحة إلى الناس، ثم أسلم الروح إلى بارئها فرحمه الله رحمة واسعة. (الجزاء من جنس العمل للعفاني 434/2) نقلا عن المجلة العربية (عدد 171 ص70).

وها هو الشيخ محمد بكر إسماعيل صاحب كتاب الفقه الواضح وغيرها من المصنفات الكثير. هذا الرجل حفظ القرآن وهو ابن ست سنين ثم فقد بصره فلم ييأس بل تعلم القراءات العشر ثم التحق بالأزهر وحصل على الماجستير والدكتوراه حتى أصبح أستاذا في التفسير وعلوم القرآن، وظل حياته يتعلم ويعلم ويؤلف الكتب حتى الليلة السابقة قبل وفاته بليلة كان يكتب كتابا عن الأخلاق الإسلامية فكان آخر ما كتب في هذا الكتاب فصل (الإخلاص لله في القول والعمل) ثم لما كانت الليلة التالية قام لله يصلي فقرأ في الركعة الثانية (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ثم ركع، ثم قام، ثم هوى ساجدا، فكانت آخر سجدة في حياته، ويبعث المرء على ما مات عليه. (جريدة الأهرام المصرية 25 يناير 2006).

فانظر لنفسك أخي في الله أي خاتمة تحب أن تختم حياتك بها، فإذا أردت حسن الخاتمة فالحق بهذا الركب واحفظ القرآن وتدبره واعمل به كي تكون من الناجين نسأل الله حسن الخاتمة.

المدينة المسحورة «سرقسطة الإسبانية» فتحها المسلمون سلماً عام 714 م

تقع هذه المدينة الجميلة المسالمة في اقليم «آراغون» على بعد 325 كلم شمال شرق العاصمة الاسبانية «مدريد». وقد أسست على أيدي الرومان قبل مولد المسيح عيسى عليه السلام تقريبا أي قبل أكثر من ألفي عام وأطلق الرومان عليها اسم قائدهم في ذلك الحين «القيصر أغسطس». وبعد فتح المسلمين لبلاد الأندلس بقيادة البطلين موسى بن نصير و طارق بن زياد سُلمت هذه المدينة من أهلها طوعا دون قتال لموسى بن نصير شخصيا عام 714م فعّرب المسلمون اسمها من «القيصر أغسطس» الى «سرقسطة». وسماها المسلمون أيضا «المدينة البيضاء» لعدم اراقة الدم في فتحها (وقيل لبياض بنائها). كما أطلقوا عليها اسم «الثغر الأعلى» كونها تقع على الحدود الشمالية للدولة الأندلسية. وقال عنها القائد موسى بن نصير: ما شربت ماءً أحلى من ماء سرقسطة. ويمتاز أهل سرقسطة منذ ذلك الحين الى يومنا هذا بالطيبة وتجنب العنف ويقدر عددهم حاليا بـ660.000 نسمة تقريبا.

وتعتبر مدينة سرقسطة من اغرب وأعجب المدن في العالم اذ إنه لا تدخلها الأفاعي ولا الحيات ولا العقارب بل ان بعض المؤرخين ذكر بان ما يدخل اليها جبرا من الأفاعي أو العقارب فانها تموت!!

لا يتلف طعامها ولا يسوس خشبها ولا تدخلها الحيات والعقارب

تسلم مفاتيحها موسى بن نصير دون قتال وأسموها «المدينة البيضاء»

أسسها الرومان قبل ميلاد المسيح عليه السلام ومازال أهلها يحتفظون بطيبتهم

وقد اكد المؤرخ الحمري بانها مدينة لا تدخلها الأفاعي أبدا ولا تعيش فيها، فحتى لو جاء أحدهم بأفعى اليها فسوف تموت.

وذكر ذلك أبو العباس التلمساني في كتابه (نفح الطيب) «كذلك بانها مدينة لا يدخلها ثعبان من نفسه، واذا أدخله أحد اليها لم يتحرك.وانه ما دخلتها حية أو عقرب الا ماتت، وأكد كذلك ان الطعام لا يتعفن فيها ولا يتسوس الخشب ولا ثياب الصوف ولا الحرير أو الكتان.

وقد ذهب ابن حزم في رأيه بأن ذلك من فعل السحرة حيث قال: «ومنه ما يوجد من الطلاسم كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في العقرب، فينفع امساكه من لدغة العقرب، وكالمشاهد ببعض بلاد الغرب وهي سرقسطة فانها لا يدخلها ثعبان قط الا ان كان بغير ارادته».

ويرى البعض أن الجبص والرخام هو السبب الحقيقي لعدم تواجد الأفاعي هناك.

وهذا الكلام الغريب عن المدينة الجميلة يستوقف الناظر خصوصا انه مذكور من قبل أعلام معروفين في مؤلفاتهم ويتبادر السؤال هنا: هل هناك علاقة بين مدينتي سرقسطة ومدينة سبا اليمنية؟ حيث جاء ذكر مدينة سبأ في القرآن في قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ»، وتفسير بلدة طيبة: أي ليس فيها سباخ و لا بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها.